النص بين سيرورة الإنتاج وفعل التأويل–إستيراتيجية المقاربة النصية

ا.د نعيمة سعدية جامعة بســـكرة
د. بن الدين بخولة جامعة الشلف

الملخص إن السؤال حول كيفية تلقي النص وشروطه، لا يقل أهمية عن السؤال حول شروط إبداعه وإنتاجه وتأويله؛ إذ نحاول في هذا السياق، الكلام عن نص الإنتاج أو " إنتاج النص" و كيف ننتج نصا؟ كيف يمكن لنا بناءه وترتيبه و على أي قاعدة ينتج، كان لابد أن يولد تساؤل آخر يناظر الأول: كيف يمكن بمعرفة نص الإنتاج أن نحقق نص التأويل؟.

الكلمات المفتاحية: النص– التأويل–آليات الإنتاج–فعل التأويل–السياق.

Abstract : The question of how to receive the text and its conditions is no less important than the question of the conditions of its creation, production and interpretation. In this context, we try to talk about the production text or the production of the text and how to produce a text. How can we build it and arrange it on what base it would have produced another question?

Word keys Text, interpretation, production mechanisms, verb interpretation, context.

مقدمة:

إن أصعب مرحلة في تكوين النص، هي تلك التي تتحول فيها عملية تأليف النص و توليده و تشقيق المعنى فيه إلى عملية ذاتية تحكمها الرغبة في أن يؤدي النص ما أريد له أن يؤديه، كنص موحد أو فسيفساء من رموز و إشارات و علامات لغوية و غير لغوية, تحيل إلى مدلولات باطنية كامنة في جسده تستدعي التأويل، ليبدأ فعل

التأويل نشاطا معقدا يحاول محاكاة فعل الإبداع.. إن ما نحاول رصده يتعلق بإشكاليات من نوع:

إشكالية المعنى الأحادي في مقابل المعنى المتعدد، وحدود التأويل التي يفرضها المنطق الداخلي للنص.

إشكالية القراءة والتأويل.

1- في إنتاج النص:

إن أصعب مرحلة في تكوين النص، هي تلك التي تتحول فيها عملية تأليف النص و توليده و تشقيق المعنى فيه إلى عملية ذاتية تحكمها الرغبة في أن يؤدي النص ما أريد له أن يؤديه، كنص موحد أو فسيفساء من رموز و إشارات و علامات لغوية و غير لغوية, تحيل إلى مدلولات باطنية كامنة في جسد النص، تحدد لها موقعا مركزيا في العمارة النصية؛ فتكون –بذلك– المحور في هذا العالم ومركز الثقل في هذه الحمولة المعرفية ذات الخلفيات المرجعية اللغوية وغير اللغوية وهذه المرحلة بشكل أو بآخر تعمل على إبعاد النص من السقوط في دائرة قراءة ظاهرية ساذجة وسطحية، التي تفتقد أي قدرة على تقفي أثر النص و إعادة إنتاجه كمحاولة جادة ضرورية لفهم النص كما يمكن, بناء على ما أمكن، من حيث أن" لا شي يخلق, ولا شيء يفنى, وكل موجود متحول؛ فالخطاب الأدبي تحويل لموجود"[1] وكذلك النص في ظل ما دعت إليه إنتاجية النص.

[1] عبد السلام المسدي, الأسلوبية و الأسلوب, الدار العربية للكتاب ط، 2، تونس، 1982، ص 117.

وكما يرى كبيدي فارغا(A Kibédi Varga) أي أن كل نص له طابع انجازي فارغ " [2] ، أي أن كل نص يتولد من نظام يولد بدوره مجموعة أخرى من النصوص و أنه (أي نص) إنجاز/ استعمال/ تلفظ، يمكن له أن يقدم إمكانيات تعبيرية كثيرة في لغة معينة، حتى، لأن لكل نص تركيبه النحوي و الصرفي المنفرد و المتميز(أي نحوه الخاص)، باعتبار الإنتاج عملية تتميز ببراءة خلقها و بنائها (أي إنتاجها).

ومن هذا المنطلق، تتحكم في إنتاج النص عدة عمليات لغوية و نفسية و اجتماعية و معرفية تشكل من الأجزاء وحدة منسجمة قائمة على قواعد تركيبة و دلالية تداولية معا, و يؤدي الفصل بين هذه القواعد أو الاكتفاء بقسم منها إلى خلل حتمي في التفسير، لأن عمليات فهمها و تفسيرها لا تقل عن عمليات إنتاجها مرة أخرى, و أن الثوابت المتمثلة في أبنية النصوص تختلف عن المتغيرات المتمثلة في أشكال الفهم المتباينة، كون "النص بنية دلالية تنتجها ذات" تفاعلت وفعلت. باعتبار" أن المتكلم الذي ينتج نصا, يستعمل معارف مختلفة يمكن أن تنتظم في ثلاث أنساق من المعارف هي:علم لغوي/علم موضوعي أو موسوعي/علم التفاعل الذي يشمل علم الانجاز النظري/ و كذلك العلم الخاص بالمعايير الاتصالية, وعلم ما وراء الاتصال بوصفه علما خاصا بضمان التفاهم و كذلك منع نزاعات الاتصال و إزالتها, وعلم أبنية النص الشمولية أو أنواع النص.

وإذا كانت النصوص لا تنتج أصلا ببساطة، بل تنشأ عبر عمليات بنائية معقدة، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو أي العلوم يكون ضروريا لإنتاج نص ما، وأي الوحدات التمثيلية تعد صفات مميزة لأنساق العلم أو المعرفة المختلفة، لمعالجة النص، وقد تساءل كل من فيهيفيجر وهاين منه عن هذا، فقدما محاولة اقترحا فيها أهم العلوم التي يتكأ عليها منتج النص، ليحقق غاياته، وهي كالآتي:

[2] حسن خمري، نظرية النص، من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط، 1، 2007 ص، 232.

أ.العلم اللغوي:

من أجل إنتاج أي نص نحتاج إلى علم بالقواعد، وبالمعجم، ليكمل المنتج معارفه، مثل كيف يحقق جملة خبرية، وحسب أي القواعد يجري الإضمار، كيف يتم توزيع معلومات أساس القضية—/ أو الموضوع، الذي يخطط له بالتوافق مع مشروع الحدث– على القضايا، أي على الوحدات الدلالية الأولية في الجمل المفردة، وحسب القواعد يمكن إفهام السامع، ما إذا كان شيء معين، يتكلم عنه في النص,معروفا من قبل، أو ما إذا كان شيء قد سبق ذكره...الخ، وأخيرا يتبع العلم اللغوي أيضا علم الوحدات المعجمية، التي يتم عبرها إيضاح المواقع النحوية في بناء الجملة، و كيف تربط الجمل بعضها ببعض، وبأي القواعد الصوتية يمكن إبراز عناصر الجملة بشكل خاص, أي كيف يتم النبر...الخ؛ فلأجل إنتاج النص يلزم وجود محتوى واسع جدا من القواعد اللغوية و الوحدات, التي تحدد البناء الصوتي و النحوي و الدلالي للأقوال التي تكون النص, لان النصوص يمكن أن تتكون من قول واحد في حدها الأدنى, لكنها في العادة تشكل من تتابع أقوال, يتم فيها رسم مضامين النص, فإننا نحتاج أيضا إلى معرف عن كيفية إظهار العلاقات بين الوحدات الدلالية في الأقوال, و معارف عن ربط الوحدات الدلالية الأولية في مركبات, وكيف يتم دمج السياقات في النص على شكل شبكة من الروابط الدلالية [1].

و في عملية إنتاج النص "يتم التوليد اللغوي بوصفه اختيارا من نظام الإشارة اللغوي لفئة اجتماعية بوصفها جماعة اتصالية، و تشكل القيود الاجتماعية والنفسية والمقامية التي تؤدي فيعها اللغة– كما هو معروف — الظروف الكلامي الذي يقدم الشرط الفيصل لأداء نوع محدد من النصوص؛ و ذلك لارتباط "اختيار الترتيبات الإجبارية أو الاختيارية المحددة من النظام النحوي للغة بالأدوار اللغوية التي تنظم

[1] فيهيفيجر و هاين منه، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، دط،الرياض، 1998 ، ص 126

حسب المقتضى أو الهدف, و تتفاعل مع أنواع النصوص" [2]. وهو ما يحدده العلم الموضوعي.

فعندما يشرع المنتج في إنتاجه، إنما يجري تجاربه عن الأشياء في داخل عقله، يبني بنية من الأفكار أولا، من طوب و طينة عقلية، أو من معاني الطوب والطينة، فإن صلحت هذه العملية في العقل، يقوم بإجرائها في الواقع والعمل، وإن لم تصلح لاستحالة فكرية غضّ الطرف عن عملها في الواقع، ولا نقصد من هذا أن تعامله بالفكرة والمعنى كان دائما مصيبا، أو كان دائما ينطبق على الواقع وإنما نقصد أنه استطاع أن يوجد لكل شيء مادي فكرة في ذهنه"[1]؛ فأول البناء بالتأكيد – مشروع البناء– أو بناء الفكر والعقل، و هذا يقوم بالطبع على مواد أولية (تعدّ وفق طرح يعقوب فام" صور ذهنية/ عقلية للأشياء)؛ فيتناول الذهن المعاني والمواد الأولية ويبني بها عمارة نصية تختلف ألوانها، وهذه هي المرحلة الثانية، أي ما بعد مشروع البناء" وهو البناء الفعلي الذي يكتب له قدران المطابقة أو المخالفة ولكنه في الحالتين يكون باختيارات جديدة وأفكار جديدة ورؤى جميلة وبطريقة شاعرية؛ لذلك يقول فوكو: " إن الخطاب شيء من الأشياء و هو ككل الأشياء موضوع صراع من أجل الحصول على السلطة...و هو ليس فقط انعكاسا للصراعات, بل هو المسرح الذي يتم فيه استثمار عنصر الرغبة, فهو ذاته مدار الرغبة و السلطة, و بلفظ أدق هو المدار الحاسم للسلطة و الرغبة"[3]

[2] فيلي ساندربرس, نحو نظرية أسلوبية لسانية, ترجمة خالد محمود جمعة،دار الفكر، دمشق. ط، 1، 2003 ص163

[3] يعقوب فام. البراجماتية, مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د ، ط، 1936، ص، 193

أ. العلم الموسوعي أو الموضوعي:

و أول طور في إنتاج النص هو في العادة طور التخطيط و مقصد المنتج هو هدف ما من خلال النص, كنشر المعرفة أو تحقيق الانسجام مع خطة ما، أي يعد إنتاج النص هدفا فرعيا في السبيل المؤدي إلى الهدف الأساسي, و في وسع المنتج, بالاعتماد على تحليل الوسائل و الغايات أن يحاول تقدير أي من النصوص الممكنة هو الذي سيقدم أكبر الإسهامات في تقليص الفروق القائمة بين الحالة الراهنة و حالة الهدف[1]

والقيمة التي يعطيها العلم الموسوعي أو الموضوعي لقضايا معالجة النص من الأمور التي لا جدال فيها، أما أن كان مبررا أن يعد "العلم الموسوعي" حقل معرفة قائمة بذاته, فهي مسألة تتوقف الإجابة عنها على أي الفرضيات يتم اختيارها فيما يخص نمذجة المعجم و العلم اللغوي لقضايا معالجة النص, العلم المعجمي, أي العلم الدلالي, يعد اليوم كثيرا العلم الغالب الذي يملكه أعضاءه أية جماعة بشرية معينة, و يكون لديهم عند التمثيل الدلالي في التدوين المعجمي, هذا العلم الغالب, سيتم إلغاؤه بواسطة ما يسمى العلم الموسوعي الذي يقود بالضرورة إلى أن يقبل بجانب المعجم تخزين علم آخر في الذاكرة يشمل تلك المجالات المعرفية التي يمكن أن تسمى العلم الموضوعي أو علم الخبراء [2]

ويذهب دافيد روملهارت (D. Romlhart) مسرفا في التشدد حين يقول: "تعد عملية الاستيعاب مطابقة لعملية انتخاب المخططات التصويرية والتحقق منها في محاولة تفسير الموقف أو النص الذي يراد فهمه؛ لأن انتخاب المخططات والتحقق

---

[1] إلهام أبو غزالة, مدخل إلى علم لغة النص, الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1999. ص64

[2] فيهيفيجر و هاين منه، السابق ، ص 127

منها –في اعتقاده– يساهمان في الاستيعاب دون أن يكونا مطابقين له. ويجد المرء مصالحة مطردة بين المعرفة التي يعرضها النص وبين أنماط المعرفة التنظيمية المختزنة عند الشخص الذي يفهم النص وطبعه ومزاجه" [3]. و للمكون النصي–في هذه المرحلة– دور في تركيب الرسالة.تتكون من موضوع ومحمول.واختيار العنصر الموسم له وظيفة تماسكية cohésive، تلفت انتباه العنصر الذي وضع في غير موضعه, و علاقته بالعناصر الأخرى, كما تتصل بتقسيم عنصري القضية إلى معلوم و هو ما يفترض المتكلم أن السامع يعرفه, وجديد، و هو ما يرد المتكلم الإخبار به أو يفترض أن السامع لا يعرفه [4].

ج. العلم التفاعلي:

وبعد مرحلة التصور تأتي مرحلة التطوير، التي يمكن الانتفاع بها في توسيع الأفكار الناتجة وتخصيصها وتفصيلها وربطها الواحدة بالأخرى، و في وسع المرء أن ينظر على التطوير على أنه البحث في فراغات المعرفة المختزنة أي في تشكيلات المحتوى الذهني ذات التنظيم الداخلي بفضل المسارات الدلالية، التي تجعل النص إعلاميا ذا تشكيلات جديدة في عالم النص المرتبط به[1] ؛ فالخطاب حدث تفاعلي يتفاعل فيه المخاطِب والمخاطَب.

د. علم الانجاز النظري:

إن قصد أي متكلم من إنتاج نص ما، إرادة إحداث أثر معين، كما يريد به مثلا إحداث ردود فعل معينة لدى المتلقي أو التوصل إلى حالات معينة، تجعل تصرفات المشتركين الآخرين في الاتصال ضرورية، عند ذلك يمكن الانطلاق من أن

---

[3] إلهام أبو غزالة, مدخل إلى علم لغة النص, ص256

[4] – محمود أحمد نحلة, علم اللغة النظامي, مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي, ملتقى الفكر الإسكندرية,1998, ص147

[1] ينظر:إلهام أبو غزالة, مدخل إلى علم لغة النص, ص64

المتكلم في جماعة معينة يملك المعارف الخاصة بأن لديهم معارف عن نوعية الحالات التي يمكن أن تحدث في مواقف ملموسة معينة وعن طريق أقوال لغوية معينة تظهر نية المتكلم في موقف ما بقول معين، لتتم نمذجة العلاقة بين علم التفاعل، أي العلم الخاص بالسلوك اللغوي، والعلم اللغوي والأدبيات الصادرة من المتكلم والسامع والهدف:

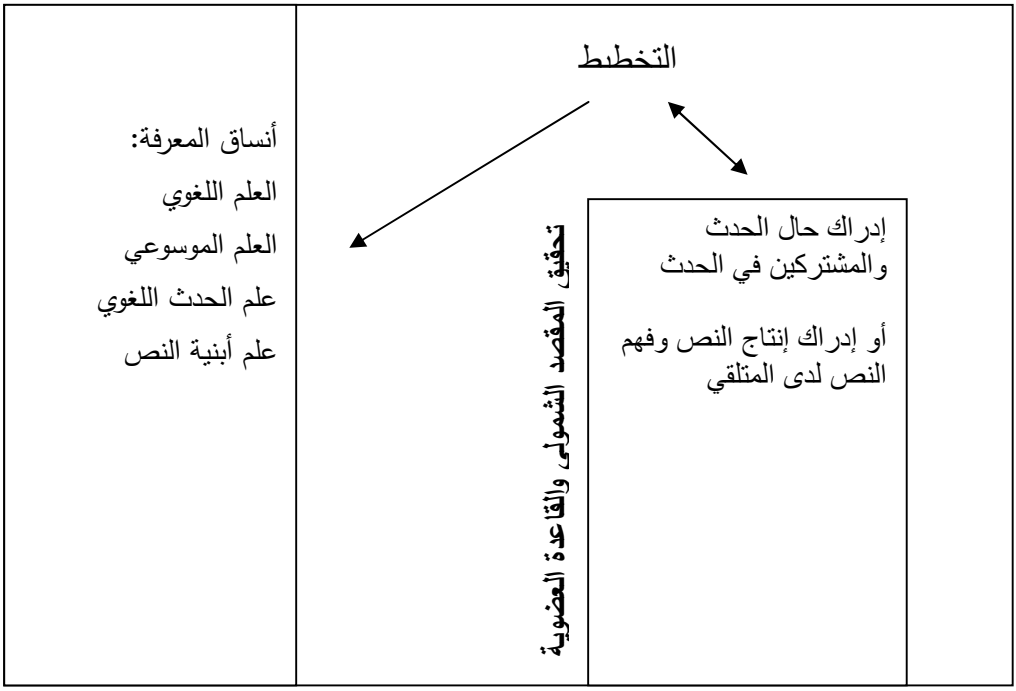

المكوّنة له, و كلما خرجت واقعة نصية عن أنظمة معرفة المشتركين للغة النص ومحتواه وغايته تعرض استقرار نظام النص للاختلال، و استلزم الأمر استعادة الاستقرار بواسطة التكامل التنظيمي مع تلك الواقعة أي بواسطة إضافات وتعديلات لمخزون المرء من المعرفة؛ وإنما تسدّ السبل أمام استغلال النص إذا أخفق التكامل التنظيمي في العمل، و في الأحوال العادية، يحافظ المشتركون على توازن النظام بمحافظتهم على

(2) فيهيفيجر و هاين منه، السابق ، ص 152.

استمرار الخبرة المعرفية و يتم ذلك باكتشاف الصلات بين كل واقعة ذات معنى وسياق تلك الواقعة [1]

إن منتج النص مطالب برسم معرفته بالمتلقي الذي يتجه إليه الإنتاج، ومعرفة الموضوع المقدم, ونوع النص وأعرافه من علوم مصاحبة، من جهة، ومن جهة أخرى مطالب برسم معرفته بعملية الإنتاج نفسها، حيث يراعي أثناء عملية التفكير والتخطيط اختيار المعلومات والكلمات والعبارات التي تناسبها، لتتم عملية تحرير الكتابة في شكل مراجعة، تستدعى إثرها أفكار جديدة تضاف إلى معلومات النص الأولى، وتشمل اهتماما بالعناصر الخارجية و الهدف من النص، لأن المتكلم الذي ينتج النص يتبع دائما قصدا أو هدف اجتماعي، يتحقق من خلال معلومة عن المحيط أو من خلال الوعي بإحدى الحاجات. لذلك يمكن للمتكلم مثلا أن ينتج نصا مرتبطا بالمجالات الوظيفية التالية على أنها أهداف اجتماعية ممكنة:إبلاغ المعلومة./ التعلم./ إصدار تعليمات الحدث./نصوص لإنتاج جمال أدبي./ الإقناع بواسطة النصوص. وهذه الوظائف يمكن معها استنباط ثلاث صفات أساسية لتوصيف إنتاج النص[2]:

[1] إلهام أبو غزالة, مدخل إلى علم لغة النص, ص60.

[2] فولفجانج و فيهيفيجر: مدخل إلى علم لغة النص,ص 12

*إنتاج النص وأيضا تفسيره يجب أن تفهم على إنها نشاطات مدرجة بنيويا, وأنها تقوم بتلك الدوار التفسيرية المعينة للأشياء, وكان جوديش 1984 قد أشار بشكل جلي إلى هذا المطلب المنهجي لنظرة لغوية قائمة على نظرية الممارسة و نظرية الحدث. اعتمادا على الجوانب العامة في نظرية الممارسة وكذلك البحث في علم النفس الإدراكي

أ- يعد إنتاج النص نشاطا لغويا يخدم أهدافا اجتماعية و يكون ذلك مرتبطا- غالبا- بسياقات نشاط معقدة.

ب- إنتاج النص نشاط واع و خلاق, يحتوي على الوسائل المناسبة للإنتاج و دائما ما يكون نشاطا مقصودا من المتكلم, يحاول السامع أن يفهمه من خلال الأقوال اللغوية.

ج- كما يعد إنتاج النص دائما نشاط تفاعل مرتبطا بالشريك و يكون دائما بشكل نسبي من شركاء الاتصال الذين يتعلق بهم النشاط اللغوي.

هذه الصفات النوعية الثلاث (الهدف الاجتماعي- القصد- التفاعل) تعد الجوانب الجوهرية لإنتاج النص, أو الصفات الأساسية للنصوص بصفة عامة، و انطلاقا من الصفات الأساسية لإنتاج النص يمكن القول إن إنتاج النص هو نشاط مخطط له* ؛ حيث تشكل خطة النص تمثيلا ذهنيا للهدف الذي ينفذ بنص للوصول إلى هذا الهدف, فتحتوي بذلك خطة النص على النتيجة، و تحتوي أيضا على الطرق التي يمكن بواسطتها الوصول إلى هذه النتيجة فالنصوص تتابع من الأقوال التي تنتج من متكلم لتحقيق أهداف معينة, و يمكن للمتلقي التعرف على قصد المنتج اعتمادا على القول, أو بمراعاة العوامل السياقية؛ كما أن البنية النصية —وفق هذا النموذج- بنية معقدة ذات أبعاد أفقية و تدرج هرمي, تحتاج إلى ذلك الخليط المتكامل من علم النحو و علم الدلالة و علم التداولية, و التي اختصت لسانيات النص بقدرة استيعابه.

و يمكن أن تشكل خطة إنتاج النص تمثيلا ذهنيا للهدف والحدث الشمولي الذي ينفذ بنص للوصول إلى هذا الهدف, تحتوي خطة النص بذلك النتيجة المعدة مسبقا و أيضا الطرق التي يمكن بواسطتها الوصول إلى هذه النتيجة عل الحالة المعنية. أما العمليات الذهنية التي تطور بناء عليها خطة النص ثم أخيرا تحقق من خلال أقوال

لغوية, فتثبت في النص بطريقة خاصة جدا [1] ؛ باعتبار أن إنتاج النص لا يحدث مطلقا دون شروط, بل هو نشاط مخطط له, و بواسطته يجب أن تصنع حالة مرغوبة لدى المنتج، لذلك تهدف هذه المعالجة إلى رصد بعض الممارسات الإجرائية التي شملت النص؛ باعتباره موضوعا تجاذبه منظومة مفاهيم, تعلقت بتلقيه: قراءة و تحليلا, من جهة, و لأنه بنية لغوية أو جهاز تنظيري انبثق عن نشاطات معرفية مختلفة, حددت خصوصيتها في نظام شامل هو الثقافة التي تشكله و تشكل منها.

أما فان دايك Van dijk فقد قدم عدة نماذج نصية، ونظرات مختلفة حول دراسته للنصوص: وصفها و تفسيرها –كما بينا في أكثر من موضع – وقد لوحظ أنه اعتمد في نماذجه على عناصر لغوية، فأدخل فيها مكونات نفسية ومنطقية– دلالية واتصالية– وتداولية، إلى جانب المكونات التحويلية والدلالية – التوليدية، وقد افترض فيها بوجه خاص–كما يرى سوينيسكي– امتداد بنية كبرى نصية (في شكل فروض مختصرة)، بوصفها بنية عميقة دلالية للنص، إلى نماذج نصية و أنحاء نصية، واشتقاق البنية السطحية للنص منها من خلال قواعد تحويلية، تحدد عوامل انجازيه (امتدادية) وصياغة (مكانية وزمنية..الخ)من جهة، فقد طالب سنة 1982 في تعليل الحكايات (من خلال نظرية الحدث) بمراعاة أنماط الحدث وأوصافه وخطابه والمقولات السردية الكبرى (الشرح والتركيب والتفكيك)، ومن جهة أخرى[2].

ويرى هاليداي أنه إذا فتشنا المعاني الكامنة في اللغة وجدنا عددا ضخما من الاختيارات تضمها شبكات مستقلة من الإمكانات، وهذه الشبكات تنسجم مع وظائف أساسية محددة للغة، وهذا يجعلنا قادرين على أن نصف الوظائف المختلفة للغة من حيث أن لها صلة وثقى بالتركيب اللغوي بدلا من الاتجاه بها وجهة اجتماعية

---

[1] فيهيفيجر و هاين منه، السابق، ص 120.

[2] سعيد حسن البحيري, علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون،ط1،بيروت ،1997,ص 94

أو نفسية. ومن هنا، لاحظ هاليداي سنة 1968 أربعة مكونات وظيفية أطلق عليها المكون التجريبي (experiential) والمكون المنطقي (logical) والمكون الخطابي (disco Ural) والمكون الكلامي الوظيفي (speech functional)، أو المكون التبادلي (interpersonnel)، ليستبدل هذا الطرح جزئيا سنة 1970 بطرح لا يبتعد عن الأول، يعيد تسمية المكون بالوظيفة التي تعادل عنده المعنى. و بعدها يدمج الوظيفتين الأولى و الثانية في وظيفة واحدة سماها الوظيفة الفكرية(ideational) و يعيد تسمية المكون الثالث إلى الوظيفة النصية، بينما يبقى الأخير بذات التسمية و لكن يلغي كلمة المكون، و نجد الوظيفة التبادلية [1]

أما المكون الفكري؛ فتتمثل وظيفته في تجسد خبرة المتكلم بعالم الواقع سواء في ذلك العالم الخارجي الذي يحيط به، أو العالم الداخلي الذي يدور في أعماقه، و يمثل وعيه الخاص و هو يتفرع إلى مكونين آخرين فرعيين تجريبي: يعني بالتعبير عن العمليات و المشاركين والظروف ونحو ذلك، وآخر منطقي، يقوم بتزويدنا على مستوى هذه الوظيفة بالتعبير اللغوي عن العلاقات الجامعة، كتلك التي تكون بالربط أو التفريع أو الشرط.الخ، في حين يتحقق المكون التبادلي في ثلاث وظائف، من حيث أنه يبرز مؤسسة للعلاقات الاجتماعية بين الناس أو حفاظا عليها من جهة و كونه وسيلة للتأثير في سلوك الآخرين و توجيههم إلى أشياء معينة قولا أو فعلا من جهة ثانية، ومن حيث أنه تعبر عن موقف المتكلم قبولا أو لقطا أو تجريحا أو اندهاشا.....الخ

ولكن أهم مكوّن في نظر هاليداي و رقية حسن وهو المكون النصي؛ الذي يعتبر أنه المسؤول عن تحقق المكونين الأولين عبر نص يناسب السياق ويتميز بصفتين أساسيتين في تشكل نصيته وإنتاجه بصفة عامة وهما: الاتساق(cohésion)، والانسجام (cohérence)، أي يحققان التماسك بشكل عام؛ الذي "يجري على

[1] محمود أحمد نحلة، علم اللغة النظامي، كلية الآداب، ملتقى الفكر، الإسكندرية، 19898، ص 136- 137.

أعراف أهل اللغة في الاستعمال؛ بحيث يكون السامع أو القارئ قادرا على تمييز النص من مجموعة عشوائية من الجمل " .[2]

كما قد يقوم المكون النصي زيادة على إحداث التماسك و تحقيق المكونان الفكري و التبادلي، أيضا له وظيفة إبراز عنصر معين في النص من خلال التمييز بعلامة دالة تفرد العنصر عن سواه، و تخصه بالأمر دون غيره كقوله تعالى: ((أنت فعلت هذا)) [3].

2- النص والكفاءات التداولية:

لابد من توفر الكفاءات التداولية لبلوغ القصد من النص، فتأويل المرء لنص ما يتوجب عليه تطبيق كفاءات متنوعة على مختلف العناصر الدالة المدرجة في المتتالية النصية، حتى يتسنى له استخراج مدلولاتها، وهو أمر غاية في التعقيد، حيث تتدخل فيها في آن واحد كفاءات غير متجانسة تتصف مسألة تحديد مجالاتها وكيفية تدخلها بالدقة البالغة[4]

ولعل ما استوجب حضور هذه الكفاءات هو قصور البنية الشكلية للنص على تبليغ القصد، فالكلام الواحد "يختلف فهمه بحسب حال السياق، وبحسب حال المخاطبين، وبحسب غير ذلك، كالاستفهام لفظ واحد ويدخله معان أخر من تقرير وتوبيخ وغير ذلك، وكالأمر يدخله معنى الإباحة والتهديد والتعجيز وأشباهها، ولا دليل على المعنى المراد إلا الأمور الخارجية، وعمادها مقتضيات الأحوال، وليس كل

---

(2) Halliday.M.A.K ∝ R.Hassan,langage,contexte and text : Aspects of Language in social- Semiotic. Perfective Oxford ,university presse,1990,22,21.

(3) الأنبياء، آية:62.

(4) كاترين كيربرات أوريكيوني، المضمر، بيروت : المنظمة العربية للترجمة، 2008. ص283.

حال ينقل، ولا كل قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول، وإذا فات نقل بعض القرائن الدالة فات فهم الكلام جملة أو فهم شيء منه" [1]

و ليست الكفاءات التداولية نسقا بسيطا بل هي أنساق متعددة متآلفة فهي تتألف من خمس ملكات على الأقل وهي: الملكة اللغوية، والملكة المنطقية والملكة المعرفية، والملكة الإدراكية والملكة الاجتماعية، وكل ملكة مرتبطة بكفاءة منها تكملها وتحدد عالمها، وقد عرفها "دايك" على النحو التالي[2]:

أ-الملكة/الكفاءة اللغوية: قدرة مستعمل اللغة على إنتاج وتأويل عبارات لغوية ذات بنيات متنوعة ومعقدة في مواقف تواصلية مختلفة. لأن صيغة الخطاب اللغوية المكونة من أدوات معينة، وسياقه التلفظي يحيلان على المعنى الحرفي، غير أن القارئ تفطن إلى جزئيات الخطاب اللغوية وما تضمنته من معان خفية .

ب-الملكة/الكفاءة المنطقية: تمكن مستعمل اللغة من اشتقاق معارف أخرى بواسطة قواعد استدلال تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي، ما ارتبط بالمعطيات اللغوية والسياقية لفهم القصد، كما تمكنه من الاستعانة بالعملية الاستدلالية التي تعدّ الأساس الجوهري لتأويل النص، وهي" عملية منطقية لربط المعطيات اللغوية والسياقية والمحادثية التداولية لإنشاء الدلالة، وفهم القصد، فكي نستدل علينا الحساب والاستنتاج انطلاقا من عناصر دالة متنوعة، ويقع مفهوم الاستدلال أساسا من جهة المتقبل، غير أنه ليس مجرد تفكيك، كما أنه لا ينفصل عن الباث بما أن الدلالة هي حصيلة عمل مشترك بين طرفي الخطاب في السياق" [3]

---

[1] عيد بلبع، مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص، المكتبة الأزهرية للتراث ط1، 2008، ص194

[2] عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة. الطبعة الأولى – 2004م. ص 57.

[3] فيليب بلاتشيه، فيليب بلاتشية، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر حباشة، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007، ص 153.

ج- الملكة/الكفاءة المعرفية: وهو رصيد مستعمل اللغة من المعارف المنظمة، وقدرته على اشتقاق معارف من العبارات اللغوية وتخزينها واستحضارها لتأويل العبارات اللغوية. تمكنه من معارف متنوعة أسهمت بشكل فعّال في تأويل النص، إذ تسهم معرفة القارئ بعادات المؤلف ومجتمعه بتأويل النص، وهو ما يشكل سياقا ثقافيا يعين على فهم العبارات اللغوية؛ ونقصد بالسياق الثقافي للنصوص اللغوية "كل ما يمثل مرجعية معرفية لإمكانية التواصل اللغوي، وبعبارة أخرى إذا كانت اللغة تمثل مجموعة من القوانين العرفية الاجتماعية بدءا من المستوى الصوتي، وانتهاء بالمستوى الدلالي فإن هذه القوانين تستمد قدرتها على القيام بوظيفتها في الإطار الثقافي الأوسع" [4]، ويشتمل السياق الثقافي على "الاعتقادات المشتركة بين أفراد البيئة اللغوية، والمعلومات التاريخية، والأفكار والأعراف المشاعة بينهم، فهذا السياق هو المعين على فهم عبارات مثل "فلان جبان الكلب"، و"تجمد بينهم الجليد" ونحو ذلك مما هو مرتبط بالحياة الاجتماعية، أو له صلة بثقافة المجتمع الدينية أو السياسية أو الاجتماعية بوجه عام" [1]

د- الملكة/الكفاءة الإدراكية: وهو إدراك مستعمل اللغة لمحيطه ليشتق منه معارف لتأويل الخطاب وإنتاجه، فإدراك القارئ لقصد النص ينتج بوساطة إدراك مواز لمحيطه، لأن حمل اللفظ على ظاهره أمر متعذر، وهو ما يعني اختفاء القصد وراء اللفظ، لذلك يسعى القارئ المحلل إلى معرفة الدلالة الضمنية للخطاب، ليصل إلى المعنى الضمني، المرتبط بتكوين هذه المعرفة، والنابع من ثقافة الناص الموسوعية.

[4] نصر حامد أبو زيد، النص والسلطة والحقيقة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط4، 2000، ص 97-98.

[1] محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص161.

هـ- الملكة/الكفاءة الاجتماعية: لا يعرف مستعمل اللغة ما يقول فحسب، بل يعرف كذلك كيف يقول ذلك لمخاطب معين في موقف تواصلي ما قصد تحقيق أهدافه التواصلية:

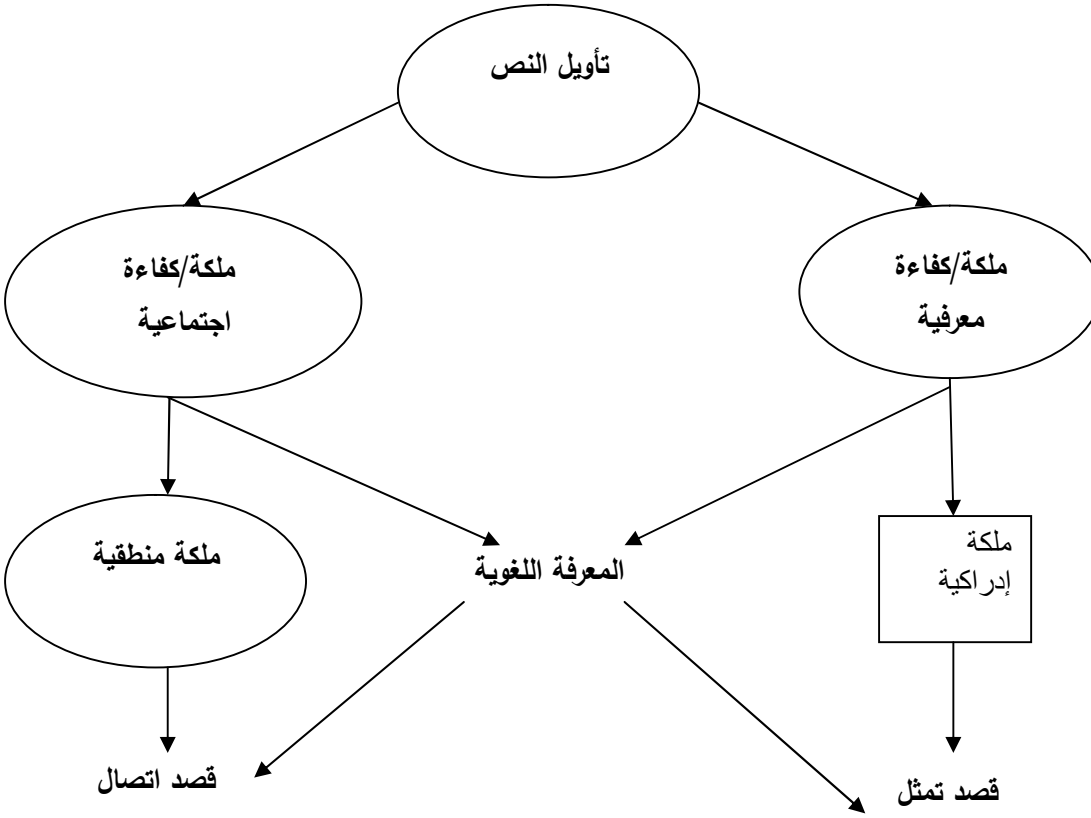

3- النص بين القصد وفعل التأويل:

إذا كان جميع أفراد الجماعة اللغوية، قادرين على إنتاج نصوص نظريا أو افتراضا على الأقل، فإن القليل هم الذين يملكون كفاية نصية لانجاز نصوص مقبولة أدبيا لذلك نجد فان ديك و جماعته يتحدثون عن وجود كفاية

نية(compétence textuelle) تسمح لمراسل النص أن يفهم و يؤول عددا لانهائيا من الجمل المختلفة و لهذا فإن كفايته نصية، ذلك لأننا، سب فان دايك لا نتوصل بالجمل، بل عن طريق النصوص " [1] ويجب التعامل مع النص ككلية منظمة تزاوج بين المحلي المنتظم في كلمات وجمل و الكل المشكل في مستوى البيانات العامة للنص, بالاشتغال في محاور نظمية واستدلالية وارتباط هذه البنيات مع بعضها البعض عن طريق الاتساق والانسجام ومراعاة مبادئ القصدية والمقبولية والإخبارية والموقفية والتناصية، من أجل تكوين شبكة من العلاقات المتفاعلة فيما بينها، مستمدة نوعا ما من الدنيا الاتصالية الممتدة عبر مستويات متداخلة.

إن القصدية صفة للحالات العقلية والحوادث التي يتم بها التوجه إلى موضوعات العالم الخارجي وأحواله أو الإشارة إليها "[2] ؛ فإن كانت لدي رغبة لا بد أن تكون رغبة في حدوث شيء أو أن شيئا يجب أن يحدث وحين يكون لدي قصد معين يجب أن يكون قصدا لفعل شيء ما، وفق المخطط التالي:

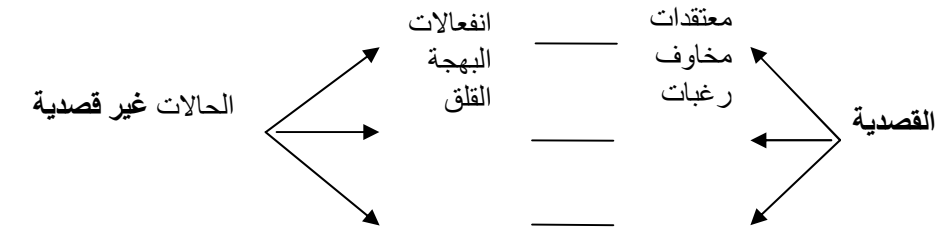

وعليه، يعد صورة مر ، وليس له وضع خاص؛ فالنص تصميم (disising) أو خطة (plan) في عقل المؤلف / منتج النص؛ على اعتبار منتج النص يملك معارف عن الكم الذي ينبغي أن يحتويه النص من معلومات في حالة معينة، حتى يستطيع السامع أن يعيد قصده.

---

[1] أنور المترجي، سيميائية النص الأدبي،الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 1987 ص 84.

[2] جون سيرل: المرجع عينه، ص 21، وص24. وينظر: ديتر فيهفيجرفولفاجنج هاين منه، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص143.

ولعله الأمر الذي أشار إليه ابن طباطبا:" للشعر أدوات يجب إعدادها قبل مراسه و تكلف نظمه..فمنها التوسع في علم اللغة, و الراحة في الفهم و الإعراب و الرواية لفنون الأدبي, والمعرفة بأيام الناس وأنسابهم و مناقبهم مثالبهم والوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر, والتصرف في معانيه، وفي كل فت قالته العرب فيه... وجماع هذه الأدوات كمال العقل الذي تميز الأضداد، ولزوم العدل و إيثار الحسن واجتناب القبح، ووضع الأشياء مواضعها"[3] ؛ فـ" إنتاج النص"عملية معقدة, تمد بفروعها على عناصر عديدة, وعلى مقومات لا حصر لها و على خصائص عينية مختلفة؛ لعل أهمها تلك الخاصية التي لاقت نوعا من الإجماع وهي" الكفاءة" (compétence), أو قدرة الإنسان على استعمال اللغة من خلال معرفته بقواعد لغته, باعتبارها "نظاما عقليا تحتيا قابعا خلف السلوك الفعلي"[1] ، أي الأداء.

فالهدف من النظرية التأويلية فهم المؤلف أكثر مما يفهم نفسه. كما يرى مثله أن "هناك ارتباط وثيق بين الفهم والتأويل، فإذا أردنا أن نفهم شخصا يجب علينا أن نقوم بتأويل أفعاله و كتاباته في عملية واحدة متجانسة"؛ إذ يبقى النص مجالا لتأويلات محتملة تتجدد باستمرار، فهو عالم يعج ببدائل تتيح للمؤول أن يلج إلى هذا العالم وهو مدمج بمختلف الأدوات التي بها يواجه النص، فيتعدد القارئ في خيال المبدع، وتظهر معالم هذا التعدد في النص، بين قارئ متخيل مضمر وآخر فعلي واقعي، وبينهما مراتب، هما متعددي الأبعاد، ذلك أن المخاطب–في نظرنا– ينقسم إلى: مخاطب أول فعلي، وهو الكائن الواقعي، والذي حصر في سياق لغة الخطاب، بشكل محدد: زمانا ومكانا، وهو كائن يملك المرونة ليتلون في سياق جديد ممتزجا برؤى وتطلعات القارئ الجديد، ومرجعياته الثقافية والاجتماعية والفكرية، والثاني هو

---

[3] ابن طباطبا، عيار الشعر، تح، عبد العزيز بن ناصر المانع ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ص، ص، 41- 43

[1] أحمد مومن, اللسانيات, النشأة و التطور, ديوان المطبوعات الجامعية. ، ط، 2 ، 2005 م. الجزائر ص 211.

الضمني /المضمر، وهو الكائن الورقي الموجود في خيال المبدع لحظة الإبداع، ليسكن بين أسطر لغة الخطاب، فينتقل عبر العصور، من قارئ إلى آخر، وليحيا-بزئبقية ساحرة- وبقوة في خيال هذا القارئ الجديد:

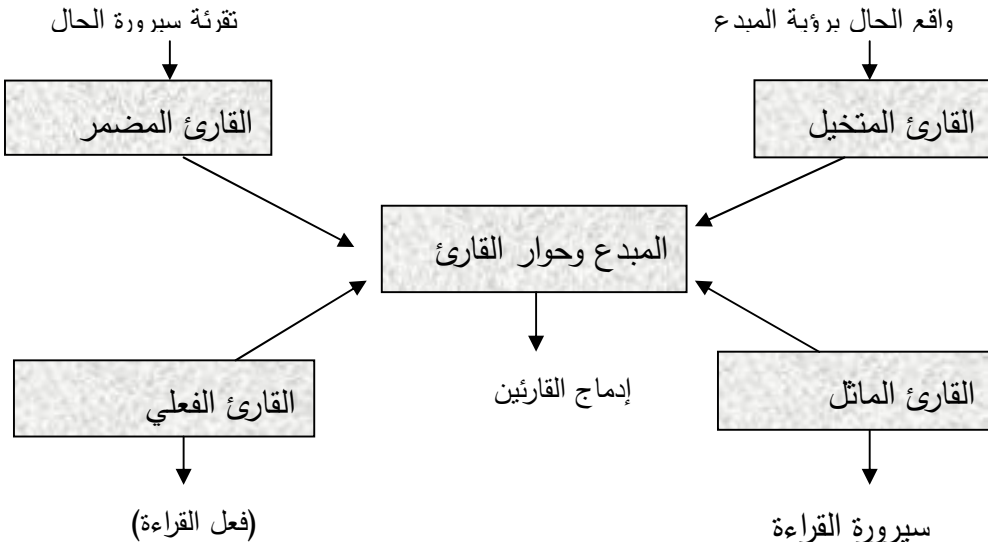

و المعنى القارئ، و هو أبدا أكثر أو أقل أو غير ما يقوله و يصرح به, إنه إمكان للتفكير و بنيته للفهم أو مفترق للحقائق؛ ولهذا فالقارئ الجدير يقرأ دوما من ما لا يقوله النص، وكل قراءة جديرة تملك مصداقيتها ومشروعيتها، ومشروعية القراءة تستمد من اختلافها لا من تطابقها مع النص المقروء، إذ يشكل التأويل— هنا- مجموع الخطوات التي تقود إلى المطابقة بين رغبة المؤول وممكنات النص الدالة ؛ لأنه لا ينطلق من فراغ، و لا يعتمد فقط على ذاتية المؤول المطلقة في غيبة المعطيات الأساسية التي تواضع و تعارف عليها العلماء لإدراك التظاهرة النصية والتي ساهمت

(1) - Paul Ricœur;du texte à l'action, P109

بشكل فعال في تحديد مفهوم للنص، لأن"حضور هذا الوعي في النص لا بد أن يتخذ شكلا ما، هذا الشكل هو ما نسميه العمل الأدبي,على أن هذا الوعي المتشكل لغويا يخضع لشروط اللغة؛ ولغة النص المبدع كثيرا ما تغيب المعنى بالرمز أو بالكناية؛ فيفزع المتلقي إلى ما لا ينتظره فتكون "خيبة التوقع" الحاثة على مزيد النظر والتفكر؛ إذ يقول الجاحظ متحدثا عن العلاقة بين ما يمكن أن نسميه العلاقة بين الغموض و الإبداع. يقول: " لأن الشيء من غير معدنه أغرب، و كلما كان أغرب كان أبعد الوهم؛ و كلما كان أبعد في الوهم كان أطرف؛ و كلما كان أطرف كان أعجب و كلما كان أعجب كان أبدع" [2]إذ نتبين من خلال هذا القول أن الإبداع لا تنشأ من وضوح المعنى و قربه؛ وإنما على العكس من ذلك هو نتيجة صناعة للكلام تنجو به منحى الأغراب. و كل غريب يدعو إلى التأمل فيه حتى يفهم ويعجب به؛ فرغم تقارب الرؤى في حقيقة التأويل إلا أنه قد مر بمراحل ساهمت في محاولة ضبطه. فهناك مرحلة تضادية مع التأويل، وهذه المرحلة سادت فيها القصدية وكل ما له علاقة بسلطة الكلام الفردي، أو بالفكر المطلق، فكانت لها خيارات أما أن تفرض التأويل أو أن يتوقف في نقطة حرجة لا يجوز تخطيها.

ونشير في هذا المقام إلى قول ابن الأثير،الذي يتماثل إلى أبعد الحدود مع الطرح التأويلي المعاصر، إذ يقول: " واعلم أن الأصل في المعنى أن يحمل على ظاهر، ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل...لأنه عدول عن ظاهر اللفظ؛.. فالمعنى المحمول على ظاهره لا يقع في تفسيره خلاف، و المعنى المعدول عن ظاهره إلى التأويل يقع فيه الخلاف؛ إذ باب التأويل غير محصور، والعلماء متفاوتون في هذا، فإنه قد يأخذ بعضهم وجها ضعيفا من التأويل فيكسوه بعبارته قوة تميزه على غيره من الوجوه القوية

[2] – *أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البيان و التبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ج1 ،ص* 55.

" [1] ؛ ذلك أن سلطة التأويل هي التي تشكل الظاهرة الإبداعية عندما تعتبر أن نتائج التأويل ليست إلا وجها من وجوه الحقيقة؛ فالنص يحمل ذلك الخطاب تفسيرا للذات و للوجود و للعالم: وهو تفسير يعبر عن فهم أو رفض: قبول أو رد، في إطار محددات التأويل و التفسير، وتحديد العلاقة بينهما، لأن الكشف عن الحقائق ظني في التأويل, بينما يعد قطعيا في التفسير:

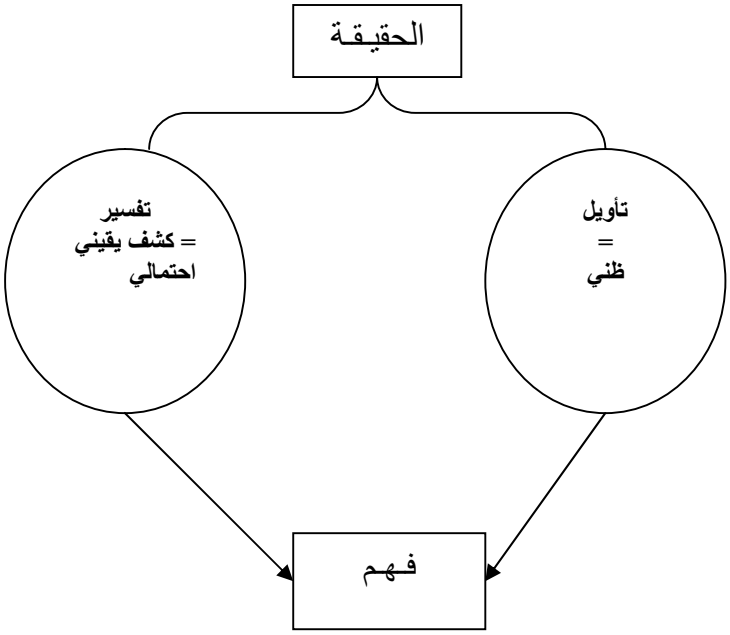

كشف

4- التأويل وفعل إعادة إنتاج الدلالة:

[1] ابن الأثير، المثل السائر،تح، أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة ج1، ص 32.

إذا كان المراد من الفهم، هو هذا الإدراك للمستوى الأول من الإخبار و الإفادة حيث يراد اللفظ لذاته كان التفسير نمطا من أنماط عملية الفهم " [2] ، معنى ذلك أن التفسير يترتب دوما على الفهم، و هو إنجاز له و ممارسة و هما متلازمان تلازما دعا بعض المفكرين إلى اعتبارهما مترادفين.

وعند تفسير النص كمحاولة أولى لفهمه، توظف المعارف استراتيجيا, مما يمكن مساندته بالفرضيات الأساسية التالية وفق طرح كل من فيهيفيجر وهاين منه:

أ- "يبنى" مفسر النص تمثيلا ذهنيا للأوضاع, التي تم إبلاغها عبر النص بواسطة المنتج, أي أن مفسر النص بتطبيقه لاستراتيجيات مختلفة يدخل النظام إلى المعلومات المأخوذة من النص, و يملؤها بالعلم الموجود من قبل.

ب- يفهم مفسر النص دائما على إنها أوضاع من نوع معين, بكلمات أخرى: وضع النظام يكون دائما مستندا إلى أنواع من الموضوعات وحالات الاتصال و تفاعلات و نشاطات تفاعل.

ج- عند بناء التمثيل الذهني في النص لا ينتظر المفسر إلى نهاية النص, بل يبدأ به منذ الكلمة الأولى في بناء القول,ويعد ذلك خطوة نتيجة التفسير الناشئة.

د- عند بناء التمثيل الذهني في النص يعتمد مفسر النص على مواقفه و قيمه و قناعاته و آرائه، بهذا يأخذ بتقويمات, تكون ذات أهمية للنظام.

ه- عند بناء التمثيل الذهني في النص يراعي مفسر النص وظيفية النص في السياق الاجتماعي.

و- و براعي مفسر النص كذلك وظيفة الانجاز النظري في النص, أي انه يعيد بناء قصد المتكلم نسبيا من سياق الموقف و سياق التفاعل.

---

[2] الهادي الجطلاوي، قضايا اللغة، المنهج . التاويل . الإعجاز ، نشر كلية الآداب . سوسه ، العربية ، دار محمد علي الحامي الجمهورية التونسية ص 26.

ز- يراعي مفسر النص إلى التفاعلات الاجتماعية, بأهدافها, وحوافزها, ومعاييرها.

لأجل تفسير النص يتم لدى المتلقي استدعاء النظريات و الفرضيات و حتى النظريات الشخصية التي جمعها بناء على خبراته الفردية في تعامله اليومي مع المحيط الطبيعي و الاجتماعي، لبناء معنى النص[1].

و نذكر أبو حامد الغزالي من الأصوليين (ت 505 هـ) الذي يقول: «التأويل عبارة عن احتمال يعضده دليل، يصير به، اغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر ويشبه أن يكون كل تأويل صرفا للفظ من الحقيقة إلى المجاز»[2] ، والذي يثير انتباهنا في تعريف الغزالي أنه أشار على أن التأويل احتمال قواه وعضده دليل، يقترب مقصده من الخطاب أكثر مما يدل عليه ظاهر اللفظ، وهو يعطينا سمات أخرى تقربنا من التأويل الأدبي فهو ينبهنا على أن التأويل يكاد يكون أغلبه صرفا، فهو يكون عدولاً من الحقيقة إلى المجاز.

و يقول الرازي (ت 606 هـ) وهو من علماء التفسير والكلام: «التأويل هو صرف اللفظ عن ظاهرة إلى معناه المرجوح مع قيام الدليل القاطع على أن ظاهره محال»[3] ؛ فالرازي يهتم بظاهرة الدلالة اللفظية، والتي يرى من خلالها دلالة هذه الألفاظ، وذلك على اعتبار وجود قرينة أو دليل يقضي بعدم قبول الظاهر، إما عند علماء الحديث فنجد عند العلامة الأثير (ت 606هـ) وهو معاصر للرازي يرى أن: «المراد بالتأويل

---

[1] فيهيفيجر وهاين منه، السابق، ص158-159.

[2] الغزالي أبو حامد، المصطفى من علم الأصول، دار صادر، بيروت،ط، 1366، ج1، 387.

[3] ينظر: فخر الرازي، أساس التقديس في علم الكلام، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1993 1328هـ، ص: 222.

نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ»[4].

ويقول الزركشي: " و أما التأويل فأصله في اللغة من الأول و معنى قولهم: ما تأويل هذا الكلام, إي إلا ما تحمله من المعاني.. و قيل: أصله من الإيالة, وهي السياسة؛ فكأن المؤول للكلام يسوي الكلام و يضع المعنى في

موضعه"[1] ، فالتأويل عند علماء التفسير يعني التفسير و الاجتهاد في استنباط المعنى المقصود من ظاهر الألفاظ أو مما توحي به دلالة تلك الألفاظ و تركيبها و ترتيبها، و "أول الكلام تأويلا و تأوله ,دبره, وقدّره،و فسّره".

فالتأويل في معنييه اللغوي والاصطلاحي يعني التقدير والتفسير والتبيين وهذا واضح مما نلاحظه في دراستهم كثيرا من الظواهر النحوية التي تتسق مع الأصول التي اتفقوا عليها سواء من استقراء النصوص أو مما تسرب لهم من المنطق وعلم الكلام ومن يتأمل كتب النحاة يجد أنهم كانوا مولعين بالتقدير والتأويل، فهم يذكرون تقدير الأفعال المتروك استعمالها، والأفعال جائزة الحذف، وأسماء تحذف وجوبا أو جوازا وأسماء تقدم وحالها التأخير وأخرى تؤخر وحقها التقديم، كما يجدهم مولعين بالبحث

---

(4) ابن الأثير النهاية في غريب الحديث والأثر، القاهرة، (د-ت)، ج1، ص: 62.

(1) الزركشي, البرهان, تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الجزء الثاني الطبعة الأولى 1376 هـ- 1957 م دار احياء الكتب العربي، ص،ص. 148-149.

* ومن أشكال هذا الأسلوب من أساليب التأويل تتنوع إذ منها الحذف و الزيادة و التقديم و التأخير, و الحمل على المعنى, و التحريف و منها أيضا التقدير و الاتساع و الإضمار و الاستتار و الفصل و الاعتراض و التعليق و الإلغاء و غلبة الفروع على الأصول ورد الفروع على الأصول, و هذه الإشكال أو المظاهر التي سلكها النحاة في تأويل النصوص تدل دلالة واضحة على ارتباطها بالمعنى, إذ الحذف أو التقديم أو التأخير أو الاتساع أو الإضمار أو الحمل على المعنى أو أي شكل من هذه الأشكال لا يأتي في الكلام إلا الغرض أو قصد و ما تأويله أو تقديره ‘إلا مسلك لتفسير تلك الظاهرة و بيانها بعبارة أو كلمة أو جملة.

في تفسير الأوجه الإعرابية المختلفة * للكلمة إذا أبهم عليهم تركيب الجملة وخالف ما اصطلحوا عليه من قواعد وأصول.

وعلى الرغم من كون التأويل "شبكة معقدة من الإجراءات، و جهاز متطور من القنوات و الأدوات، التي بواسطتها ..نستطيع التحكم في نظام التلقي بحيث لا نستعمل النص المقروء، و لكنا نحاول أن نستخلص من عناصره بناء على معالم سياقية و نسقية ،أيضا شبكة من المعطيات و القيم الدلالية التي تحول لنا من نحن قراء محترفون، أن نقارب النص المقروء انطلاقا من إجراء منهجي صارم"[2] ، إلا أنه مغامرة وعملية متواصلة ترفض الخلفيات الفكرية و المنهاجية التي تساعد القارئ على إنتاج معنى للمضي في ظلها؛ من أجل تحقيق فهم وجود نصي مضى عصره و انقضى- والفكر هادم للفكر إذا ما سعى إلى تأسيس الجديد، لأنه نظرية ترى أن النص الأدبي "متعدد الوجوه وليست له حقيقة جوهرية واحدة، ومعاني الأعمال الأدبية باختلافها وتنوعها من حين إلى آخر إنما تجسد منطقا معينا يؤدي إلى تغيير منظم في التذوق الجمالي تبعا للتفسيرات والتأويلات المستخلصة من النصوص بما في ذلك تلك النصوص التي تسمح بتعدد الدلالات ولا ريب في أن التأويلين يختلفون عن غيرهم في عدم إقصائهم للفهم التاريخي بل يؤكدون على أن الملاحظة الجمالية ذاتها خاضعة للتغير التاريخي"[3].

ففي عملية البحث عن المعنى؛ فـ« المعنى ليس شيئا مرتبطا بأي منهما لوحده، لكنه شيء "متفاوض" بشأنه في إطار التفاعل بينهما: إنه "بناء اجتماعي"[1] ، ذلك أن

---

[2] عبد المالك مرتاض : نظرية القراءة ، تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران، الجزائر (د ت)، ص 180

[3] إبراهيم محمود خليل :النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، ص 130.وينظر:محمد شوقي الزين، تأويلات و تفكيكات، فصول في الفكر العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2002، ص27

[1] تشومسكي وآخرون، دلالة اللغة وتصميمها، ترجمة محمد غالم وآخرون، دار توبقال، المغرب، ط1، 2007، ص 23

التواصل باللغة مشروع تعاوني ملتزم اجتماعيا، إن إرسالية المتكلم تمت صياغتها واستقبالها بطريقة ملائمة:

1- كيف يعرف الأفراد المتفاعلون أن لهم أفكار مختلفة.

2- في ظل أي شروط يختار الفرد الإذعان لأفكار فرد آخر؟

« إن هذه الطريقة في طرح مسائل البناء الاجتماعي / الثقافي للمعنى لا تغير الحدوس والحجج الكامنة خلفها وما تفعله أنها تبين كيف ينسجم هذا المشروع مع الدلالة التصورية »[2]:

وخاتمة القول، لم يعد التأويل مجرد فرع معرفي يعني بتفسير النصوص والكشف عن القيم والقضايا والعلاقات التي ينطوي عليها- على اختلافها- بل ممارسة فكرية وقيمة وجودية لا تنفك عن تجربة الإنسان في الفكر والرؤيا، إنه استيعاب للنص من منطق أن هذا الأخير "إبداع للإمكان" في حقيقته الوجودية وبنيته التأويلية، لأنه(النص) يولد وهو يطرح نفسه للتأويل سلطة كامنة في بذرة النص ذاته؛ إلا أن تلك السلطة تدعم عبر القراءة العالمة للنص، لكن هذه السلطة ليست ذات طبيعة استبدادية؛ فكلما قرأت النص جعلته خطابا منفتحا أكثر على عوامل الثراء الدلالي, التأويل باعتباره سلطة تحرر الإبداع وتحرر النقد من أوهام الحقائق المطلقة؛ لأن التأويل فعل الوعي، ورد واع لفعل الإنتاج النصي (الإبداع).

[2] تشومسكي وآخرون، المرجع نفسه، ص 24.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1- إبراهيم محمود خليل :النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، ص 130.وينظر:محمد شوقي الزين، تأويلات و تفكيكات، فصول في الفكر العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2002،

2- ابن الأثير، المثل السائر،تح، أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة ج1.

3- ابن طباطبا، عيار الشعر، تح، عبد العزيز بن ناصر المانع ، مكتبة الخانجي – القاهرة.

4- أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البيان و التبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت،ج1

5- أحمد مومن, اللسانيات, النشأة و التطور, ديوان المطبوعات الجامعية. ، ط، 2 ، 2005 م. الجزائر

6- إلهام أبو غزالة, مدخل إلى علم لغة النص, الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1999. .

7- أنور المترجي، سيميائية النص الأدبي،الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 1987 .

8- تشومسكي وآخرون، دلالة اللغة وتصميمها، ترجمة محمد غالم وآخرون، دار توبقال، المغرب، ط1، 2007

9- جون سيرل: المرجع عينه، ص 21، وص24. وينظر: ديتر فيهفيجرفولفاجنج هاين منه، مدخل إلى علم اللغة النصي، .

10- حسن خمري، نظرية النص، من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط، 1، 2007

11- لزركشي, البرهان, تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الجزء الثاني الطبعة الأولى 1376 هـ- 1957 م دار احياء الكتب العربي.

12 سعيد حسن البحيري, علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون،ط1،بيروت ،1997

13- عبد السلام المسدي, الأسلوبية و الأسلوب, الدار العربية للكتاب ط، 2، تونس، 1982،

14- عبد المالك مرتاض : نظرية القراءة ، تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران، الجزائر (د ت) .

15- عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة. الطبعة الأولى – 2004م.

16- عيد بلبع، مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص، المكتبة الأزهرية للتراث ط1، 2008، .

17- الغزالي أبو حامد، المصطفى من علم الأصول، دار صادر، بيروت،ط، 1366، ج13

18 – فخر الرازي، أساس التقديس في علم الكلام، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1993 1328هـ.

19- فيلي ساندربرس, نحو نظرية أسلوبية لسانية, ترجمة خالد محمود جمعة،دار الفكر، دمشق . ط، 1، 2003 .

20- فيليب بلاتشيه، فيليب بلاتشية، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر حباشة، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007،.

21- فيهيفيجر و هاين منه، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، دط،الرياض، 1998 .

22- كاترين كيربرات أوريكيوني، المضمر، يروت : المنظمة العربية للترجمة، 2008.

23- محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي بيروت، لبنان، ط2، 2007

24- محمود أحمد نحلة, علم اللغة النظامي, مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي, ملتقى الفكر الإسكندرية,1998.

25- نصر حامد أبو زيد، النص والسلطة والحقيقة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط4، 2000،

26- الهادي الجطلاوي، قضايا اللغة، المنهج . التاويل . الإعجاز ، نشر كلية الآداب . سوسه ، العربية ، دار محمد علي الحامي الجمهورية التونسية

27- يعقوب فام. البراجماتية, مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د ، ط، 1936 .

المراجع الأجنبية:

Paul Ricœur;du texte à l'action, P109

Halliday.M.A.K ∝ R.Hassan,langage,contexte and text : Aspects of Language in social Semiotic. Perfective Oxford ,university presse,1990